الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة: ٩ شارع الكرداسي عابدين — القاهرة — تليفون رقم: ٤٢٩٩٢/٥٦٧٦٩

العدد ٣٠٢ — الثلاثاء ٢٣ من شوال سنة ١٣٦٣ — ١٠ من أكتوبر سنة ١٩٤٤ — السنة السادسة

فهرس العـــــدد

متاعب الناس

في هذه الأيام

من الأمور التي أصبحت مصدر عناء كثير للناس في هذه الأيام، مشكلة «الزحام»؛ فقد صار الظفر بمقعد أو موضع قدم في قطار السكة الحديدية، أو مركبة الترام، أو السيارة العمومية، مطلباً عسيراً يقتضي همة ومغامرة، وتضحية بالوقت والجهد، واستعداداً لاحتمال أذى كثير.

ولم يقف أمر الزحام عند وسائل النقل، بل تعداها إلى كل جهة تقوم بأداء خدمة عامة للجماهير، أو تسد حاجة من حاجاتهم الضرورية، فالمتاجر، والمصانع، والمطاعم، والفنادق، والمدارس، والمستشفيات، ودواوين الحكومة والشركات والمصارف، ودور السينما والملاهي، كلها تعاني ضغطاً شديداً من الجماهير التي تتزاحم في لهفة وعجلة لتسبق بقضاء مآربها وتحقيق مطالبها.

وحيث يشتد التزاحم على أمر من الأمور، والتلهف على السبق في إحراز مطلب من المطالب، يكون هناك خلل في التوازن بين العرض والطلب، ونقص حقيقي أو وهمي في الكمية الموجودة لسد حاجة الراغبين.

ولا نعمد إلى التحقيق هل أصبحت وسائلنا قاصرة عن كل حاجاتنا؟ فالإحصاءات الدقيقة لمثل هذه الشئون غير متوفرة، ولكننا نحس أن الأمر لم يلق منا العناية التي يستحقها، وأنه كان من الممكن، بالتدبير المحكم والتنظيم الدقيق، أن يُخفف كثير من الضغط، وأن يراح الناس من كثير مما يلقونه من العناء.

ففي شئون النقل كان من الممكن، بشيء من التنظيم، توزيع الحمل على وسائل النقل بتعديل المواعيد، وتقوية طرق السير، وزيادة الوسائل حيث يشتد الضغط، وتقليلها حيث يقل، والتدخل في أوقات العمل بالمصانع والمصالح ودور السينما، وتحديد مواعيد مختلفة لبدايتها ونهايتها؛ وأحسب الحكومة فكرت في شيء من ذلك، ولكنها لم تضعه موضع التنفيذ.

وفي شئون التموين استطاعت الحكومة أن تقف

تدافع الناس وذعرهم ، وتنظم التوزيع في أمر البترول والسكر والشاي والأقمشة الشعبية . ولكنها وقفت عند ذلك ، ولو سارت في سياستها إلى النهاية ، وحصرت كل الحاجيات الأخرى ونظمت توزيعها ، لكفت الناس ما يلقونه من عنت التجار ، واضطراب الأسعار ؛ ولوقفت نجاح السوق السوداء التي يلجأ إليها المضطر حين لا يجد في السوق المشروعة سداً لحاجته .

وفي شئون التعليم ، انتهجت الحكومة سياسة ديمقراطية جيدة ، فجعلت التعليم الابتدائي بالمجان ، وجعلت القبول بالمدارس الثانوية لأفضل المتقدمين مجاناً ، قدر على دفع مصروفات التعليم أو لم يقدر . ولا شك أن الروح التي أوحت إلى الحكومة هذه الخطة روح وطنية نبيلة ، ولكن تنفيذ هذه السياسة الجيدة قد خلق صعوبات جديدة ، كانت تستحق أن يُحسب لها حساب ، وأن تدبر لها الحلول .

ففي المدارس الابتدائية صح ما توقعه بعض المفكرين من أن تقرير المجانية سيغمرها بسيل من الطلبات [illegible] عليها من تلاميذ المدارس الأولية الذين فتح لهم الباب المحظور ، وأتيحت لهم الفرصة بسلوك الطريق المؤدي لأعلى درجات التعليم ، فأقبلوا عليه جميعاً ، وزحموا أبناء الطبقات الوسطى والعالية . وقد يكون للأولين حظ التفوق على أولئك في مدارس الحكومة والمدارس الحرة ، واحتلال مقاعدها ، فأين يذهب الآخرون ؟ قد يقال : لا شأن لنا بهم . فشأن مَن يكون ؟ إن من العدل أن تختص الدولة النابهين من أبناء الأمة بالتعليم على نفقتها ، ولكن هل من العدل أن يُلقى في الطريق بغيرهم من الراغبين في التعليم القادرين على احتمال نفقاته ، وليس بالبلاد مدارس خاصة تتسع لهم ؟! أليس من العدل أن تعلّم الحكومة هؤلاء على نفقتهم الخاصة إلى أن تسمح لها ميزانيتها بإيجاد الأماكن الكافية لتعليم الجميع على نفقة الدولة ؟!

وفي التعليم الثانوي ، ما دامت الدولة لم تقرر مجانيته الكاملة ، فلمَ لا تقبل النسبة المقررة للمجانيين ، وتملأ المحال الباقية بالراغبين في التعليم على نفقتهم ؟ ولمَ يختار الجميع على أساس التفوق ، وقد ينجلي الأمر عن عجز أكثر المقبولين عن دفع نفقات التعليم ؟! إننا معجبون بالروح الكريم الذي أملى على الحكومة انتهاج هذه العامة ، ولكنا كنا نحب أن تسلك في تنفيذها خطة التدرج ، ما دامت الظروف لا تسمح لها بتعميمها على الجميع وإيجاد الأماكن لكل الطلاب .

أخشى ما نخشاه أن تكون الحكومة في حرصها على إنصاف الفقراء ، وإتاحة الفرص التعليمية لهم ، قد حرمت القادرين من التعليم ، ولم تُدخل في حسابها إنصافهم وعدم الحيلولة بينهم وبين التعليم الذي كان [illegible] لهم .

ولعل هذا الزحام الشديد على المدارس يكون حافزاً للوزارة [illegible] من الآن عُدتها لعام القبل ، وترتّب الحل [illegible] لتخفيف الضغط على المدارس ، وإراحة الآباء من لم تدبر أماكن في المدارس لأبنائهم .

وسوقنا الحديث من التلاميذ إلى مشكلة المعلمين . قيل إن الوزارة قد اضطرت تحت ضغط الحاجة إلى تعيين معلمين من خريجي الكليات التي لم تعد أبناءها للتعليم ، كخريجي الزراعة والتجارة وغيرها . ولا ضير في ذلك ، سيما وقد تولت هؤلاء بدراسة تكميلية في الصيف في التربية وأصول التدريس . ولكن هذا الأمر يثير التفكير من ناحية أخرى :

إذا كانت البلاد لا تحتاج لهؤلاء الخريجين فيما أعدتهم له من التعليم الزراعي والتجاري وغيرهما ، وكانت حاجتها الشديدة هي للمعلمين ، فلمَ لا يوفر على هؤلاء سلوك هذا الطريق البعيد ، ولمَ لا يختصر السبيل ويعدون من البداية لتلك المهنة ؟ وبعبارة أخرى ، لم لا تنشئ الوزارة كلية أو كليات للتعليم ، تستوعب عدداً ممن يتساقطون على مختلف الكليات ثم لا ينتفعون أخيراً بما تعلموه ، ويلجأون لمهنة التعليم ؟!

مارى باشكيرستف

كانت حياتها على هذه الأرض قصيرة ، مثل أعذب أحلام الحياة ، فقد انقضى عمرها كما ينقضى عمر الورود . ولدت فى أكتوبر سنة ١٨٦٠ ، وتوفيت فى الحادى والثلاثين من أكتوبر سنة ١٨٨٤ .

وكانت بيضاء اللون ، شقراء الشعر ، مرتفعة عظام الخدين ، فارغة الوجنتين ، قصيرة الأنف ، رقيقة الشفتين ، عميقة النظرات ، لها عينان تسطعان كعينى المحموم .

وهى حفيدة الجنرال غريغورويتش باشكيرستف ، وكانت من جلة أبطال سباستوبول . قرأت أرسطو ، وأفلاطون ، ودانتى ، وشكسبير ، وهى لم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها ، وحفظت « هوراس » وقرأته عن ظهر قلبها . وكان إعجابها لا ينقضى بشعر « هوميرا » ، وقد قالت فيه : « لا يستطيع أحد أن يتفلت من عبادة الأقدمين ، فلم تترك لى مأساة مدينة ، ولا قصة طريفة مما كتبه دوماس ، أودنيجه براع جورج ساند العزيزة ، مثل الأثر العميق الذى تركه فى نفسى وصف الاستيلاء على طروادة ؛ حتى كان يخيل إلىّ أنى أشهد الفظائع ، وأسمع العويل والصياح ، وأرى النار تلتهم تلك البلاد » .

وكانت ذاكرتها مستودع الكتب والروايات على اختلاف أنواعها ، ولذلك كانت هى واسعة الاطلاع ، غزيرة المادة ، ينتقش فى صفحة ذهنها ما استغرقته من أوعية شتى ، ويرتسم على لوح حافظتها ما وعته من مختلف الكتب والروايات . وقد شغفت بالسياحة والتنقل ، فكانت تطوى المراحل وتجوب الأمصار ، وتنظم حاشيتى البرّ والبحر ،

لقد يبدو شيء من التناقض بين سياسة الوزارة فى توسيع التعليم ، وسياستها فى تضييق مجال تخريج المعلمين ، فلعلها أن تعيد النظر فى هذا الأمر وتوليه ما يستحقه من عناية .

بقى الكلام عن ضغط الجماهير على دواوين الحكومة ، وتزاحمهم على مختلف مكاتبها ، وهى ظاهرة مؤلمة ، أساسها اعتقاد الجمهور أن مسائله فى الحكومة لا تنجز إلا إذا سايرها خطوة خطوة ، ولجأ إلى مختلف الوسائل لحمل من بيدهم مسألته على التعجيل بها ؛ ولا شك أن هذا الضغط يسبب اضطرابا شديداً فى الأعمال ، ويعطل الموظفين من فحص المسائل بدورها ، ودرس ما يحيط بها من ملابسات فى جو هادئ ؛ وهو فوق ذلك يشغل هؤلاء الموظفين من كثير من شئون العمل الهامة ، ويضيع كثيراً من أوقات غيرهم ممن لا علاقة لهم بتلك المسائل الخاصة ، ممن يلجأ إليهم الجمهور للاستعانة بهم على من بيدهم شئونهم .

وعلاج هذه الحال لا يكفى فيه تحديد مواعيد لمقابلة ذوى الحاجات ، فهذه المواعيد لا تحترم ، ولا يعدم الجمهور وسيلة لتخطيها ، ولكن علاجها أن يسير الموظفون على نظام دقيق لا يخطئونه لأى سبب ، يعالجون فيه المسائل بدورها دون تأثر بأى اعتبار ، وأن يكونوا أسرع إنجازاً لما بين يديهم من الأعمال ، حتى يثق الجمهور بأن النظام العادى كفيل بإراحة الجميع .

إلى هنا كان كل ما ذكرناه من علاج لتخفيف تزاحم الناس هو ما تستطيع الحكومة أن تفعله ؛ ولكن من الحق أن الشعب يستطيع أن يعمل كثيراً من جانبه لتخفيف متاعبه . فهو يستطيع إذا راض نفسه على النظام واحترام حقوق الغير أن يحول دون التدافع ، فلا يتخطى أحد من سبقه ، ولا يجور أحد على حق غيره .

وهو يستطيع ، بالتعاون ، أن يقف فى وجه الجشعين والمتلاعبين ، ويحول دون منتهزى الفرص وقناصى الغنائم فى أوقات الأزمات .

وهو يستطيع أن يعاون الحكومة فى ترسمه من خطط بالإخلاص فى اتباعها ، وتقديم ما تتطلبه الحاجة من تضحيات

« س »

فى رومه ، وباريس ، وفينه ، وبرلين ، وبرج (إذ ذاك) دون أن تستطيع التخلص من الضجر الذى يرمت به ، واستحوذ على حياتها الفنية ، وجعلها مرءة الذاق خاوية الوفاض ؛ ومما يؤثر عنها قولها : كل ماليس أليماً فى هذا الوجود فهو سخيف ، وكل ماليس سخيفاً فهو أليم » ! ! ومع ذلك فقد كانت شديدة التعلق بالحياة ، وتقول : «إنى أحبّ الحيـاة وأستسيغ كل شيء فيها حتى الدموع وحتى الألم » !

وقد قصرتْ نفسها على التصوير ، واستغرقت أيامها فى معالجته ، وأخلت له ذرعها منذ سنة ١٨٧٧ ، فجعلته مراد أمانيها وحديث أحلامها ، وسلكت كل سبيل إلى مبلغات النجح فيه ؛ وقد خلفت طائفة من الرسوم والنقوش وكأنها قطع من جمال الطبيعة وجلال الحياة ، تريد أن ينفذا إلى حياة الناس ليزدادوا بالحياة إحساساً وبالطبيعة استفادة ، وإذا المعانى العليا والفضائل السامية فى صورها تجعلها وحياً إليها ، وإن كان قد رفع من قبل نجم الرسامين . وقد أصيبت بالصمم فى تلك الأثناء ، واشتد عليهـا مرض السل الذى أودى بحياتها فى النهاية ، وقد كتبت تقول : « لم يخلقنا لنتألم ، وإذا كان هو الذى خلقنا ، فلمَ خلق معنا المكاره والآفات والبلايا ؟ إنى لن أبرأ من داء الصّمَم ، وسيبقى بينى وبين العالم حجاب دائم ، فلا أسمع حفيف الريح ، ولا تساقط المياه الصافية ، ولا خرير الغدران العذبة ، ولا قطرات المطر على الزجاج ، ولا رنين العبارات التى يذيعها الهمس » !

ثم شعرت بأن الداء بدأ كل رئتيها ، فصاحت وهى تتحرّق قائلة : « حبذا لو أمكن أن أعيش عشر سنوات أخرى ، لأنه إذا أتيح لى أن أحيا إلى الثلاثين من عمرى ، فإنى أكون قد حييت إلى الأبد » .

وإذا كانت الحياة تفرّ منها كان ولعها بها يعظم ويربو ، فالفنون والموسيقى ، والتصوير ، والكتب ، والناس ، والترف ، والنعمة ، والصمت ، والحزن ، والأسى ، والحب ، والشمس ، وفصول السنة الأربعة ، وسهول روسيا ، وجبال نابلى ، والثلوج ، والمطر ، والنجوم ، كل ذلك كانت تحبّه غاية الحبّ ، وتعجب به ، حتى الموت عينه كانت تهواه ، مع أنها قد تهيبته ...

ولما عارض المرض أطماعها باليأس ، وكشف لها برق مناها عن سحاب خلّب ، وشوّه إليها وجوه آمالها ، وعاينت الحقيقة وجهاً لوجه ، قالت : « سأدخل غداً ، وأغيب فى جوف الثرى ، وتغيب معى كل آمالى وأمانىّ وأنا لا أعدو الرابعة والعشرين من عمرى » ! !

وفى يوم ملأ الضباب جوه ، لفظت أنفاسها الأخيرة ، وكان موتها أشبه شيء بآخر ما جرت به ريشتها قبل ولما [illegible] ...

ولها يوميات رائعة ، قال الكاتب الفرنسى أناتول فرانس فى وصفها : « إن الذى يقرأ يوميات مارى باشكيرستف ، يخيّل إليه أن نفسها الكبيرة لا تزال حيّة ، وأن طيفها يسير متنقلاً بين شعورها وهو ينوء بأفدح الآمال » : ولا عجب أن كانت قد رزحت تحت أعباء الأمانى المحطمة ، وأثقال الأحلام غير المحققة ، لأن الأمانى الضائعة والأحلام الزائلة لا تموت ، ولكنها تسكن فى قرارة النفس ، ولا يستطيع صاحبها أن يتخلى عنها أو يجحدها ، بل يستبقيها ويتألم فى سبيلها .. وكانت فى ألمها مستبسلة ، ولأمانيها وفية ، لأنها كانت تبغى القيام بجلائل الأعمال فى عالم الله الوسيع ، غالبة أنه كلما اشتغل العقل ، ولهج القلب بما فى هذا الكون من الأمور النبيلة الجليلة ، قلّتْ آلام الإنسان ، وعظمت غبطته ، مهما يعترض لنا من المتاعب والهموم ، والنوائب والسقام ، فى هذه الحياة .

الزهرة

ستالين القائد

كان ستالين قد أعدته أمه كيما يكون واعظاً يبشر بدين المسيح ، فخرج من مدرسة الكنيسة ثائراً يبشر بمذهب كارل ماركس الشيوعي ، وينحرف إلى طريق الثورة ويسجن وينفى ، ويعود من المنفى ليبدأ سيرته الأولى ، وليسجن وينفى من جديد .

ولم يكن عجباً أن تأخذ هذه الثورة بيده إلى قمة النفوذ والسلطان ، حيث يستقر في مقر القياصرة قيصراً غير متوج ، يبسط إرادته في سدس الكرة الأرضية مساحة وما يعادل عشرها سكاناً ! ولكن العجب حقاً أن يصبح هذا الرجل العجيب عبقرياً في الحرب كما كان في الثورة ، وقائداً مظفراً فيها كما كان زعيماً مبرزاً .

ووجه العجب ، أو وجه الإعجاب ، أن ستالين لم يدرس فنون الحرب في مدارسها ، ولم يتخصص لها طوال حياته ، ولكن دلته مواهبه الممتازة على مواطن القوى في فنون الحرب فحذقها ، وطبق دروس الحياة العملية على الأمر الواقع فلم يخطئ الحساب ، وقادته بصيرته النافذة إلى مواطن القوة أين تكون فاستغلها ، وعلى مهابط الضعف أين تقع فتنكبها ؛ وهكذا نقل ميدان الحياة إلى ميدان الحرب ، وصب فيه عصارة مواهبه وتجاربه فأطاعت ، واستطاعت أن تجعل منه المنظم والقائد المنتصر .

كانت الثورة أول دروس الحرب التي تلقاها ستالين ، فقد كان عليه أن يدبر المظاهرات والاضطرابات ويديرها ، وكان عليه إذن أن يعمل حساب الشرطة وفرسان القوزاق ، وكيف يعتصم منهم إذا هاجموه ، وكيف ينتصر عليهم إذا هاجمهم .

وقد اشتبك فعلا مع الشرطة في معارك كثيرة أثناء قيام هذه الاضطرابات ؛ وقد انتصر عليها في معركتين هامتين :

كانت الأولى في سنة ١٩٠١ ، وكان قد قاد مظاهرة من العمال في باطوم ، وظفرت الشرطة ببعض المتظاهرين وقبضت عليهم وسجنتهم ، فما لبث ستالين أن قاد مظاهرة أخرى اشتبك بها مع الشرطة في معركة حامية حتى استخلص المسجونين .

وكانت الثانية في شهر مايو سنة ١٩٠٥ حينما دبر مع صديقه (كامو) خطة للاستيلاء على أوراق نقدية مرسلة إلى بنك تفليس ، وفي الموعد المحدد ، وبينما كانت الأوراق في طريقها إلى البنك تحرسها قوة من القوزاق ، برز كامو في زي ضابط واشتبك مع القوة الحارسة ، وقتل هو ورفقاؤه ثلاثة من رجالها ، وفاز بالمال .

وفي سنة ١٩٠٥ انتظمت روسيا كلها ثورة جامعة ، وكان ستالين إذ ذاك في القوقاز ، واستطاع القوقازيون بتدبيره أن يمحوا مظاهر الحكم القيصري من بلادهم ثلاثة أشهر ، فكانت هذه الثورة هي أولى الحركات الحربية التي أدارها ستالين ، كما كانت الدروس الأولى التي تلقاها في فن الحكم .

وقد أدرك لينين — وكان في المهجر — عقب هذه الثورة أن الثورة العامة قد صارت وشيكة ، وأن على الحزب الشيوعي أن يمهد وأن يستعد لها ؛ فأوحى إلى ستالين أن يجند الرفاق ، وأن يقدمهم إلى زميله كراسين ليتولى أمر تدريبهم عسكرياً ، وكان هؤلاء الرفاق النواة الأولى للجيش الأحمر .

وجاءت ثورة سنة ١٩١٧ التي أطاحت بعرش القياصرة ، فكان هؤلاء الرفاق هم عصب هذه الثورة ، ولكن كيرنسكي اختلس الحكم من رجال الثورة هؤلاء ، حيث كان لينين في المهجر ، وستالين في المنفى . فلما عاد ستالين دبر حملة عسكرية وجهها إلى حكومة كيرنسكي ، فأزاحها سريعاً دون أن تراق الدماء .

وإلى حسن تدبير ستالين الدقيق المحكم في هذه الحملة ، لم يتمكن كيرنسكي من أن يثيرها حرباً أهلية ثانية

تقضي على الثورة ، وعلى نتائجها .

وقامت بعد ذلك الحرب الأهلية (١٩١٧ – ١٩٢٠) بتحريض من الألمان أولا ، وبتشجيع ومساعدة الحلفاء ثانياً ؛ فإن الألمان كانوا قد وعدوا الأوكرانيين بمساعدتهم في إنشاء حكومة مستقلة ، وكان الألمان يزحفون إذ ذاك صوب (كييف) ، فأصدر الزعيم الأوكراني (رادا) نداء دعا فيه إلى مساعدة الألمان لطرد الشيوعيين من أرض (الوطن) ، واستجاب الأوكرانيون لنداء الزعيم ، وألف الجنرال كاليدين جيشاً من فلول الجيوش القيصرية ، وقام قوزاق الدون يؤيدونه ، وبذا بدأت الحرب الأهلية .

وخرج الألمان من الميدان لأنهم كانوا قد عقدوا مع البلشفيك معاهدة برست ليتوفسك في ٣/٣/١٩١٨ .

ورآها الحلفاء فرصة سانحة للتدخل كيما يجبروا ألمانيا على الحرب في جبهتين ، وليقضوا على البلشفية قبل أن يشتد خطرها .

واستطاع الحلفاء أن يشنوها على البلشفيك حرباً حامية تلاحقهم أخطارها من كل صوب ؛ ففي الجنوب جيوش كاليدين وقوزاق الدون . فلما سحقهم القائد البلشفي (ايفيسنكو) عاد القوزاق فتجمعوا تحت قيادة (كراسنوف) ، وظهر جيش الجنرال دينكين كذلك – وكان هذا قائداً موهوباً – يقود جيشاً قوياً مجهزاً ، فاستطاع أن يتقدم إلى أن حاصر تساريتزين (ستالينجراد) ولم يفلح فورشيلوف في الدفاع عنها فأخلاها .

وفي هذا الوقت ظهر جيش الأميرال كولتشاك في الشرق ، وانسابت كذلك جيوش الحلفاء من ثغر مورمانسك . وقد نجح (بلوخر) في أن يبدد جيوش كولتشاك . ولكن دينكين زحف صوب موسكو ، حتى شارفها ؛ وكان ستالين يتولى القيادة في هذه الجبهة ، وهي أخطر الجبهات ، ليواجه أخطر القواد وأخطر الجيوش . وأدرك ستالين أنه لا يستطيع مواجهة دينكين على طول الجبهة فكان يجمع جيوشه في نقطة واحدة يراها أضعف النقط في خط جيوش دينكين ، ويضرب بها ضربة قاصمة ، ثم يفرق جيوشه على طول الجبهة لتقاوم ما استطاعت ، ثم يجمعها مرة أخرى ليختار نقطة ضعف أخرى يضرب فيها ضربة ثانية ، وهكذا حتى أضعف جيوش دينكين واضطره إلى الانسحاب .

ولكن الخطر ظهر من جديد ، فقد جهز الحلفاء جيشاً جديداً ، وولوا قيادته الجنرال (يودونتشين) ، وفي الوقت نفسه كان (دينكين) قد أعاد تنظيم جيشه ، وزحف يؤيد يودونتشين ، ووجهتهما معاً بتروغراد ، وفي مواجهتهما ستالين أيضاً ؛ وبينما كان الجيشان الزاحفان يستعدان للمعركة الحاسمة فاجأهما ستالين وبدد شملهما .

وكان ستالين في هذه المعركة قد خالف أوامر اللجنة المركزية وأوامر لينين ، التي كانت تشير بعدم اشتباك القوات البلشفية في الميدانين معاً ، ولكن ستالين ، كعادته ، كان لا يتقيد بالأوامر ما دامت لا تتطابق مع الظروف ، وكان لا يتردد في مخالفتها محتملا المسئولية ، وهي مسئولية كبرى لو أدت مخالفتها إلى وقوع ما كان يخشى وقوعه .

وعاد دينكين يكوّن جيشه من جديد ، فأعلن التجنيد العام في أوكرانيا ؛ ورأى البلشفيك أن يبدأوه بالهجوم ، لكن ستالين أصر على أن يمهلوه حتى يندمج الفلاحون المجندون حديثاً في جيشه ، وليجعل منهم نقطة الضعف التي يهاجمها منه .

وفي الوقت نفسه أمد الجيش الأحمر بفرق الفرسان ، لأول مرة في تاريخه وباقتراح ستالين ، وولى قيادتها (بوديني) .

ولقي دينكين نجاحاً في أول الأمر ، فقد زحف بقواته من أوريل إلى كيرسك ، ومن هذه استولى على (فورونيز) وصار على بعد مائتي ميل من موسكو . ولكن ستالين لم يلبث أن وجّه بوديني بفرسانه ليشتبك مع فرسان دينكين

بينما كان هو في الوقت نفسه يهاجم قوات دينكين من الناحية الضعيفة فيها حيث الجنود الجدد ، واستطاع أن يوقع في صفوفها الاضطراب . وهكذا ارتد دينكين نحو نوفوروسيسك (ميناء على البحر الأسود) .

وكان على ستالين أن يتتبع دينكين ، وكان ستالين عند ذلك في تساريتزين ، فكان طبيعياً أن يختار الطريق المستقيم القصير الممتد بين البلدين ، ولكنه أدرك أنه يقوم في وسط هذا الطريق مناطق تعادي البلشفية ، وأن أقصر الطرق إذن هو أسلمها ولو كان أطولها ، ولذلك اختار الطريق من تولا إلى نوفوروسيسك حيث يمر بمناجم الدونتز وبخاركوف ، وهما منطقتان يشغلها العمال الناصرون للبلشفيك ، وهكذا قضى نهائياً على دينكين

ولكن الحلفاء أعدوا مع هذا جيشاً آخر قوياً يقوده قائد آخر موهوب كذلك هو الجنرال (ورانجل) ، فوكلت اللجنة التنفيذية إلى ستالين مجابهة هذا الخطر الجديد ، وأعطته سلطة غير محدودة لاتخاذ ما يراه لازماً . وتقدم ورانجل واستدرجه ستالين حتى بعد عن قواعده فانقض عليه وألحق به هزيمة ماحقة . وبهذا انتهت الحرب الأهلية .

وانتهت في شبه معجزة ؛ فالجيش الأحمر كان فقيراً في كل شيء ، في التدريب والعدة والقيادة ، وكان يسند ظهره إلى روسيا المنهوكة التي جرتها الثورات والحرب وفساد القيصرية ؛ بينما كانت الجيوش الأخرى غنية بكل شيء ، بالتدريب ، وبمدد الحلفاء ومالهم اللذين لا ينفدان ، وبقواد حاذقين من أمثال دينكين وورانجل . ولكن هذا الفقر في الجيش الأحمر كان يكمله شيء واحد ، هو ستالين وصبره وإيمانه وثاقب بصره ، وحكمه العميق السليم على الأسباب والنتائج .

قال « كاجونفتش » أيامئذ : « لقد كان كل شيء يدعونا إلى الفرار ، ولكننا لم نفر لأن ستالين قال : سننتصر ! »
أما أثر قيادته في هذه الحرب فموضوعه مقال آخر .

ابراهيم زين الدين المحامي

الأدب العربى المعاصر

وخلوه من تراجم المعاصرين

تصدر إلينا مطابع القاهرة وبيروت فى كل أسبوع بعدد من الكتب تعالج مختلف أنواع الثقافة وقضايا الأدب وشؤون الفكر لأدباء عرفوا — فى الدنيا العربية — بعمق تفكيرهم ونضج أدبهم، وما امتازوا به من عوامل الابتكار والإبداع والذوق، وما فى أساليبهم من متع أدبية وإشراق روحى وأدب رفيع.

وهذا تيار أدبى له تأثيره فى رفع مستوى العقل العربى وإنارة الأذهان، وخلق رأى عام مدرك مثقف يتلقف ما فى هذا النتاج من آراء جديدة، ووثبات جريئة، ونظرة وجيهة تهديه إلى آفاق واسعة من الحياة، وترشده إلى النور وتزيد فى ثقافته.

ولكننا نشاهد مع عظم هذا الإنتاج الأدبى وغزارته، والثروة الفكرية التى يقدمها إلينا أدباء مصر ولبنان، وما يتكبدون فى سبيل ذلك من جهد ذهنى ومراجعة مستمرة وتتبع طويل، أنهم مقصرون تقصيراً مهماً فى معالجة ناحية هامة من نواحى الأدب والثقافة؛ وهذه الناحية تؤرخ أدب العصر ومختلف التيارات التى تجاذبته، وأعنى بها كتب (تراجم المعاصرين) من أصحاب النبوغ والإلهام والأدب والفكر، والذين كان لهم أثر بارز فى تكوين الأدب العربى والنهضة الثقافية، وما يتردد الآن فى جوانب الدنيا العربية من علم وافر وأدب وابتكار.

هذه الناحية قد أهملها أدباء العرب المعاصرون، مع علمهم بأهميتها ومعرفتهم بأثرها فى دنيا الفكر وإعلاء شأن الأدب ورجاله، فى حين أنهم يعالجون فى كتبهم مختلف الدراسات الأدبية من شعر ونثر وقصص؛ كما أن بعضهم يقوم بإحياء تراث المتقدمين من رجال الفكر والأدب والسياسة، وجلاء تلك العصور الغابرة بما تخللته من ثقافات وتيارات أدبية. أما تراجم الأدباء المعاصرين فلا تحظى منهم بكبير عناء واهتمام، مع أن مثل هذه الدراسات لهؤلاء المعاصرين تُعنى بها من قِبَل الأدباء والمفكرين فى الغرب، وتحتل مكاناً مهماً لديهم.

ففى أوربا وأمريكا لا يموت أحد الشعراء أو الأدباء، وكل من له أثر ملحوظ فى الثقافة العامة، إلا وتقوم المطابع بعد فترة قصيرة لا تتجاوز أشهراً بإخراج عشرات الكتب التحليلية لشخصية هذا الشاعر أو الأديب، ودراسته من كافة نواحيه، مؤرخة بهذه الواسطة أدب العصر وتياراته المختلفة وألوان الثقافة العامة. وترى الكتاب المعاصرين يختص كل منهم بدراسة ناحية هامة من نواحى هذا الشاعر أو الأديب، والعناصر التى اجتمعت فى إنتاجه فكونت منه شخصية أدبية مرموقة لها خصائصها التى امتازت بها عن غيرها، فتكون للأجيال المقبلة ثروة أدبية ممتعة، تكون من أحسن المراجع وأصدقها لهؤلاء الأدباء والأدب المعاصر.

لذلك نشاهد أن القسم الكبير من أدبائنا البارزين عندما يبحثون فى الأدب الغربى والأدباء اللامعين فيه، يبرزون لنا صوراً واضحة المعالم، دقيقة التحديد، مشرقة العبارات، وذلك لأن المصادر لديهم متوفرة وغزيرة. أما إذا اضطروا إلى دراسة أديب عربى معاصر وتحليل شخصيته وأدبه وأثره، فتراهم يتعثرون فى أبحاثهم ويسيرون بحذر شديد وخوف ظاهر، وذلك لقلة المصادر لديهم وندرتها، أو استحالة وجودها.

وهنا نقص بارز فى أدبنا العربى المعاصر، كنا نود مخلصين لو أن أدباء الأمم العربية اهتموا بتلافيه فى هذه الآونة؛ خاصة وأن أدبنا العربى المعاصر فى بدء سيره إلى

النضج والكمال ، وأن أدباءه الذين ذهبوا وكانوا قد ساهموا فى بنائه وتكوينه ووضعوا اللبنات فى أساسه لا يزال أكثر الذين عاصروهم من أدبائنا البارزين أحياء يرزقون ، وهم قادرون على ترجمتهم وتحليلهم ، وبيان الخصائص الأدبية التى امتازوا بها فى آثارهم التى تركوها ، والتراث الفكرى الذى خلفوه .

إن دراسة هؤلاء الذاهبين من الأدباء المعاصرين من قبل إخوانهم الأدباء الباقين من المعاصرين ليكوّن ثروة أدبية فى الأدب العربى المعاصر ، تكون من أحسن المراجع وأصدقها لهذه الفترة من حياتنا الأدبية وأدبائها المبدعين ، ستتلقاها الأجيال المقبلة بغبطة وشوق ؛ وذلك لأنها كتبت بأقلام أدباء عاصروا وسايروا هذا الأدب ، وعرفوا عنه كل خصائصه ومميزاته ونواحى إبداعه ، فيكون ما يكتبونه ويترجمونه مصدراً من أهم مصادر التاريخ للأدب العربى المعاصر .

وبالعكس إذا بقى أدبنا ناقصاً من مثل هذه الدراسات الهامة ، ولم يولها أعلام الأدب عنايتهم واهتمامهم ، سيكون من الصعب على الأديب العربى الذى سيأتى فى الجيل المقبل القيام بمثل هذه الدراسات ، وذلك لكونه يعيش فى عصر غير عصر المترجَم له ؛ فإذا أقدم على مثل هذه الدراسات والتراجم فيحدث فى كتاباته من الزيادة والنقصان والتشويه والكذب ما نشاهده فى أغلب الدراسات الأدبية لبعض أعلام الشعر والأدب الذين عاشوا فى العصر الذى سبق عصرنا .

فمن واجب كبار أدباء العرب المعاصرين فى مصر ولبنان وسوريا والعراق القيام بهذا الواجب الأدبى الذى أهملوه ، مع أنه أولى بعنايتهم من كل موضوع آخر ، لأنه علاوة على كونه ميداناً لإبراز عبقريتهم وإبداعهم ، ينتج ثروة أدبية لها أرفعها فى الأدب العربى ؛ وأبسط دليل على ما نقوله ما يتمتع به الكاتب الذائع الصيت «إميل لودفيك» من مركز أدبى رفيع فى العالم .

* * *

لقد مات المنفلوطى ومصطفى صادق الرافعى ، وكانا — رحمهما الله — أصحاب مدرسة أدبية ذات لون خاص فى الأدب العربى ، وإن تأثيرهما فى الأدب المعاصر وفى بعض الأدباء المعاصرين لا ينكره أحد ، علاوة على كونهما أديبين بارزين فى مصر والبلاد العربية ، ويستحقان عناية الدرس والتحليل ، فما هى الكتب التى صدرت تترجم هذين الأديبين ، اللهم إلا كتاب (سعيد العريان) عن الرافعى !! وهذا لا يكفى لدراسة أديب دوى اسمه فى مصر والبلاد العربية فترة من الزمن !!

ومات حافظ إبراهيم وأحمد شوقى ، وكانا علمين بارزين فى الشعر ، أجمعت كافة البلاد العربية على إكبارهما ، واعترف الأدباء بعبقريتهما الشعرية ، وما امتاز كل منهما بخصائص جعلته شاعراً ذائع الصيت ، ليس فى البلاد العربية فقط بل فى أكثر أقطار العالم ، وكان لها تأثير كبير فى الأدب العربى المعاصر ؛ فمثل هذين الشاعرين كان يجب أن يعنى بدراستهما عشرات الكتاب المعاصرين ويؤرخوا عصرهما ، ويجلوا هذه العبقرية التى ألهمت كلاً من الشاعرين هذا الشعر الذى هز العواطف العربية ، وشاركها فى خيالاتها وأمانيها وطموحها .

ثم مات عبد القادر حمزة والبشرى ، وكان لهما من الصيت والدوى والمركز الأدبى والثقافة الشخصية ما جعل لهما مكانة مرموقة فى جميع البلاد العربية ، علاوة على مركزهما الممتاز فى مصر ، وإن تأثيرهما فى الثقافة العامة لا ينكره أحد ؛ فمن الجحود أن يرموتهما بدون أن يتحرك هذا الرعيل المعاصر من زملائهما الأدباء والصحفيين بتخليدهما بتراجم توضح مدى أثرهما فى خدمة الأدب والمعرفة !

ومات الزهاوى وفيلكس فارس والآنسة مى ، وكانوا

من الأدباء البـارزين فى العربية ، ولهم جولات صادقة فى خدمة الأدب والثقافة ، وكان تأثيرهم فى الأدب المعـاصر ملحوظا ، علاوة على آثارهم التى تركوها وكان لها ولا يزال مركزها الأدبى الممتاز لدى قراء الأدب العربى وأدبائه ؟ هذا مع العلم أن « الريحانى » انتشر صيته الأدبى فى الدنيا الجديدة أيضاً ، فعرفوا فيه الأديب الناضج والمؤرخ الصادق. مات هؤلاء بدون أن يثير موتهم أى اهتمام من جانب الذين عاصروهم وعرفوا فيهم عمق ثقافتهم وأثرهم فى الأدب العربى المعاصر .

ومات الشهبندر وكان علماً من أعلام المعرفـة علاوة على كونه زعيماً وطنياً ، وله فى دنيا الفكر جولات صادقات ، تشهد بها مجلة الهلال والمقتطف وصحف الدنيا العربية ، كما يتمتع بصيت بلغ أوربا والدنيا الجديدة ، وله فى الأدب المعاصر آراء وآثار . فهل من الإنصاف أن يمر موته وتمضى السنون بدون أن يقوم أحد من هؤلاء الأدباء الذين تموج بهم الدنيا العربية فيؤرخ لنا الشهبندر ؟!

ويموت الزهاوى فى العراق فلا يهز موت هذا الشاعر العظيم الذى أفنى شبابه وكهولته فى خـدمة الشعر العربى أحداً من معاصريه ، الذين يقدرون فيه شاعريته التى أفاضت روائعها على كافة البلاد العربية نغماً رائقاً جدد الحياة فى العراق ، ورددته صحارى بلاد العرب وسهول سورية وجبال لبنان ، وأطرب وادى النيل ! لا يهز موت هذا الشاعر فيوحى لعارفيه بما يحتمه الواجب الأدبى من دراسـته وتحليله تخليداً له وخدمة للأدب العربى المعاصر .

هؤلاء الأدباء والشعراء وغيرهم بالعشرات فى البلاد العربية ، ماتوا وكانوا فى حياتهم رواد هذا الأدب الذى جاهدوا مخلصين فى سبيل تجديده ، بدون أن يحرك موتهم هذا إخوانهم المعاصرين من الأدباء ، فيقومون بإخراج كتب بتراجمهم توضح مراحل الأدب العربى وتطوره من وراء دراستهم وتحليلهم ، فى حين أن مثل هؤلاء الأدباء وأقل منهم شهرة ، لو كانوا فى بلاد غير البلاد العربية لكانت تلك البلاد قد ألفت عنهم مئات الكتب التى تروى حياتهم وإنتاجهم وأثرهم فى عصرهم .

هذا النقص فى أدبنا العربى يشعر به الآن المثقفون ، وحتى أنصاف المثقفين فى جميع البلاد العربية ، متمنين أن يقوم أعلام الأدب فى ديارهم بواجب الالتفات إلى هـذه الناحية المهملة فى أدبنا المعاصر ، فيتركوا لنا وللأجيال المقبلة ثروة أدبية تـكون عوناً لنا بالتعرف إلى أدبائنا وآثارهم ، وتخليداً لهؤلاء الذين كانوا فى أيامهم يملأون دنيا الأدب والثقافة بثمار قرائحهم ، وتموجات أفكارهم ، ومذاهبهم فى الحياة .

بغداد مهدى القزاز

قصة مصرية واقعية (١)

علاج للأعصاب

يجدر هنا أن أدع المريضة تتحدث عن نفسها : —

أنا امرأة عصبية تفضى بأهوالها إلى كل من تلقاه دون أن تظفر بما تنشده من عزاء . وبت أحس أنى غدوت ثقيلة الظل وأنا لا أدع الغير يتحدثون عن أنفسهم ، لأننى أملأ الوقت كله بالتحدث عن نفسى وعن الأعراض التى تنتابنى فى غير رحمة أو هوادة ! حتى زوجى أخذ يمل حديثى المعاد ، ويصر على أن آلامى مجرد أوهام لا يستسيغها العقل ! وكثيراً ما تبرم وثار كلما سمع بأوجاعى وأناتى قائلا : إنه لا يفهم أن أشكو وأن أظل أشكو وكل أمارات تنطق بأنى غاية فى الصحة والعافية ، وأنام ملء عينى وآكل بشهوة يحسدنى عليها الكثيرون ! وهو بهذا السلوك يزيد حالى سوءاً ، دون أن يدرى ، اعتقاداً منه أن إظهار الرثاء لحالى يضرنى ويبالغ فى آلامى الواهمة !!

وعبثاً حاول فى أول الأمر أن ينصحنى بتصنع المرح ، وطالما ضرب صدره براحته وقال فى صوت مجلجل يصدع الرأس : —

انظرى إلىّ ! أنا لست عصبياً ولا أجد ما يدعونى إلى ذلك !

وأنا بدورى لا أجد سبباً لحالتى العصبية المرهقة ، ولا يد لى فيها ولا حيلة ، ولكنها كما يخيل إلىّ لعنة من السماء لا أستحقها ، ولا أتردد فى أن أتنازل بطيب خاطر عن جميع ما أملكه لأتخلص من نيرها العاتى . بل إنى لأفضل العمى على أن أشعر بأن أعصابى المحطمة ستفضى بى يوما إلى الجنون والخبل ، لأننى أكون إذ ذاك موضع رثاء زوجى وشفقته ، بدل أن أظل كما أنا موضع تبرمه ونقمته .

وكثيراً ما نصحتنى صديقاتى بأن أخفى الحزن عما يثقل قلبى وأكبته فى قرارتى ، لأن فى التنفيس عن آلامى ما يفرج كربتى . وصارحتنى بعضهن بأنهن عانين نفس ما أعانى ، ولم ينقذهن غير المرح مما يشجينى لبعض الصديقات !

وخيل لى مرة أن أدعى الإغماء فيما يشبه الموت لأسمع ما يقوله زوجى إذ ذاك ، وهو يجدنى ضحية لاستخفافه بحالتى ، فأستطيع أن أذكره بما قال كلما عاد إلى إظهار ضيقه وتبرمه .

وبت أرتعب من السكوت فى الظلام ، وأنهض من النوم فى حالة سيئة ، ويبين جوانحى شعور عجيب بأن أحداثا مروعة ستقع . وأظل فى فراشى أشبه بالمحكوم عليه بالإعدام عند ما يقال له إنه قد نام نوما هادئاً فى الليلة السابقة لسوقه إلى المشنقة . إنه ربما استيقظ راضياً يتثاءب ويبتسم ، ولكنه لا يلبث أن يذكر المشنقة وعنقه الدائق فتتصبب جبينه بالعرق وينتفض رعبا . وأنا كذلك أعمل قليلا أثناء النهار ما تستدعيه واجبات ربة البيت ، ولكنى سرعان ما أحس بالخور والإعياء ، وإذا بأضأل ضوضاء تنهش أعصابى وتعذبنى أشد العذاب ؛ حتى مزاح زوجى بصوت عال كان يدفعنى إلى أن أصيح متوسلة إليه أن يتركنى وشأنى !! وكان يطلب إلىّ أن (أشد حيلى) ولكن عبارته كانت تغيظنى وتحنقنى ، إذ كنت أشعر برعب الغريق وضيقه عند ما يراه إنسان على الشاطئ وهو يلاطم الأمواج فى يأس ويكتفى بأن يصيح به أن يشد حيله !!

وكنت لا أقوى على الخروج والسير فى الطرقات بمفردى خشية أن أصاب بدوار أو إغماء ، فكنت إذا اضطررت إلى ذلك مشيت على مهل بجانب الجدران أو الأسوار الحديدية ، لأتشبث بها إذا مادت الأرض تحت قدمى وكدت أن يغشى علىّ !! وعند ما يضطرنى زوجى

(١) من مذكرات طبيب — تحت الطبع

إلى مرافقته إلى مسرح أو دار للسينما كنت أوثر أن أجلس في مقصورة خاصة ، لأنني جلست مرة في مقعد بالقاعة وسط المقاعد الأخرى ، فخيل إلى أنني سجينة ، وأن سائر المتفرجين المحيطين بي حراس عمالقة ، وأن أنفاسهم ستخنقني !

أما الأدوية فقد تناولت منها الكثير ، وإني لأغبط النساء اللائي يعتقدن في المقويات ما دامت هذه العقيدة ترضيهن . وكم أعجب عندما أذكر صديقة لي تحطمت أعصابها لأن خطيبها فصم خطوبتهما فجأة وبلا جريرة من جانبها ، فاستعملت مقوياً للأعصاب تتعاطاه والتهمته ، فما لبثت بعد أسبوع واحد أن استعادت صحتها وبرئت أعصابها المحطمة !!

وقد ذهب بي زوجي في يوم إلى أحد الأطباء الذائعي الصيت ، فلما كشف عليَّ قرر أن صحتي جيدة ، وأن كل ما يجب عليَّ أن أقلع عن التفكير في نفسي ، ونصحني بأن أستغني شهراً عن الطاهية ، وأتولى بنفسي الطابخ في كل يوم .

ولما ذهبت إلى طبيب آخر ربت على كتفي حانياً ونصحني بتغيير « الهواء » وقضاء أشهر الصيف في لبنان أو اليونان ، وأعطاني خطاباً لطبيب في لبنان مختص في الأمراض العصبية . وحال نشوب الحرب الحالية دون القيام بتلك الرحلة ؛ فلما فتحت خطابه وجدت فيه ما ترجمته :

« عزيزي الدكتور كنعان .

أرجو أن تكون بخير . حاملة خطابي السيدة . . . وهي عصبية لا تطاق بسبب أوهام ووساوس تتسلط على عقلها ، وترجع في الغالب إلى خمولها وحياتها المترفة ... »

ولما لم تتحسن حالتي برمت بأصدقائي ومعارفي وتبرمهم الظاهر بي ، فأخلدت إلى العزلة وانعكفت في المنزل ، ولم أعد أقرأ خطاباً أو صحيفة من الصحف . وأخيراً عرضني زوجي على الطبيب الكبير مرة أخرى ، فألح بضرورة بقائي في مصحته لمدة أسبوعين على الأقل ، ليوفر لي بيئة تتفق مع العلاج اللازم لأعصابي . ولم أر مندوحة عن الامتثال بعد أن زهدت في كل شيء . وانتقلت إلى الطابق الأرضي من مصحته .

ولم يمض يومان حتى شاهدت في الحديقة رجلا وسيدة يبكيان في جزع ، فلما سألتهما ما بهما أخبراني أن وحيدتهما البالغة من العمر ثمانية عشر عاما مصابة بالتهاب الزائدة الدودية ، وأن عملية جراحية ستجرى لها في صبيحة الغد بالطابق العلوي من المستشفى !!

أدركت أنني في مستشفى ولست في مصحة ! واشتد جزعي في الصباح الباكر عندما سمعت جلبة أقدام غير عادية على أرض الغرفة التي تعلو غرفتي مباشرة ، ولما تحركت العربة علمت أن بها ستجرى العملية لنفس الفتاة . ولما دقت الساعة الخامسة عرفت أن المريضة تدخل الغرفة . وخيل إلى أنني أسمع وقع نعالها الخفيف ، ثم إغلاق الباب ، — آخر أمل لها في الهرب — خلفها . وتحرك مقعد من مكانه فعرفت أنها تصعد إلى منضدة العمليات .

وتلا ذلك صمت رهيب فأدركت أنهم كانوا يخدرونها . وتوهمت بخار ذلك البنج يخترق سقف غرفتي ، وشعرت أنني أختنق ، ورحت ألهث حتى خيل لي أن صدري يوشك أن ينفجر ، وكان الصمت قاسيا فلم أجرؤ على أن أصيح . وهممت أن أدق جرسي ، ولكن فكرة الضوضاء التي سيحدثها منعت يدي وربطتها إلى جانبي ؛ ومضيت أحلق في السقف والعرق البارد يتصبب على جبيني ، وجعلت أدلك أصابعي لئلا تكون قد فقدت كل شعور وإحساس .

وسمعت أنات موجعة تناهت إلى أذني من الغرفة التي فوق ، ثم سمعت وقع أقدام ينبعث من جديد ، فأدركت أن العملية بدأت . واستطعت أن أتصور السكين وهي تندفع

في جسم تلك الفتاة المنكودة وقد استسلمت للقدر في صمت مدهش ورضوخ عجيب ، ولم أدر كم بت أرمق السقف ذاهلة العقل زائغة البصر ؟! ولم أدر كم طال ذلك (القتل) ، ولا إلى متى قضى أن تظل تلك المخلوقة المسكينة في غيبوبتها المؤلمة ؟

وفجأة عاد الهرج والمرج ، وسمعت قوائم (المنضدة) تزحف على الأرض في سرعة ، فعرفت أن العملية قد أجريت أو أن خطأ ما قد وقع ، لأنني سمعت قدمي رجل تندفعان هابطتين على الدرج ، ثم سمعت صوته يصيح في طلب عربة ما لبثت أن أخذت تنهب أرض الشارع كأنما تسابق الريح . وأخيراً عاد الرجل وأسرع يرقى الدرج راكضاً إلى الطابق العلوي . وتساءلت ماذا حدث للأب والأم المنتظرين في الردهة على مضض ؟ أتراهما قتلهما الارتقاب ؟ ولماذا لم يندفعا إلى غرفة العمليات صارخين مولولين ليحطما وحيدتهما قبل أن تمزق جسمها ؟!

وظللت أحملق في السقف وقد [illegible] الغائص بين جنبي وأنفاسي اللاهثة ، [illegible] بقعة من الدم القاني وسط سقف غرفتي الناصع البياض ! وأدركت أنها من دماء الفتاة ، وما زالت تكبر إلى أن غدت في حجم طبق كبير . وخيل لي أن هذه الدماء ستتساقط على رأسي ، وسرعان ما سقطت نقطة على فراشي فغمرني العرق والبرودة ، كأني غرقت في بحيرة أو نهر كبير في ليلة من ليالي الشتاء القارسة . وسقطت نقطة أخرى كأنها حجر ، فأسرعت أخفي رأسي بين المخدات دون أن أجرؤ على الحراك . ورحت أستمع لوقع النقط الثقيلة كما أستمع لتساقط قطع من الرصاص ! وشبه لي أن هذه النقط لن تلبث أن تنفذ من الغطاء إلى جسمي فتلهبه بالنيران ، وامتلأت أذناي بطنين عجيب أصمهما ، ويبدو أنني أغمي علي ، لأنني لا أذكر سوى أن ممرضة دخلت غرفتي وطلبت إلي أن أغير ملابسي فصحت بها :

— هل ماتت ؟

ولكنها أجابتني في هدوء :

— كلا وستعيش بإذن الله !

— ألم يقتلها الرعب ؟

— كلا بل صعدت إلى المنضدة وارتقتها باسمة مستبشرة معتذرة عن تأخرها بضع دقائق . .

وبعد أسبوع عدت إلى منزلي بعد أن شفيت وعاود أعصابي هدوءها . وكان من شفائي أنني استصغرت شأني وأنا أرتعد وأرتجف لأتفه الأشياء ، بينما هذه الفتاة الشجاعة الجريئة استهانت بالموت واستقبلته باسمة مشرقة الأسارير — فارتقت (منضدة) العمليات مستبشرة غير حافلة ! ! . .

وسر الطبيب لبرئي ، وزاد إيماناً بقدرة الراحة على شفاء الأعصاب ، ولم أجرؤ على أن أفضي إليه بأنني إنما شفيت بفضل الفتاة التي استقبلت الموت بثغر باسم ، وإلى بقعة الدماء التي [illegible] من سقف غرفتي بمصحته .

ولم ألبث أن تعرفت بالفتاة ، ظناً مني أنني سأرى أمامي «إلهة» صغيرة ، ولكنني لم أر فيها سوى شابة في مقتبل العمر ، صبيحة الوجه بالأمل والرجاء .

دكتورة علي شكري

صاحب امتياز المجلة
رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر
أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف

الاشتراك لستة أشهر
٤٥ في مصر والسودان
٣٧,٥ للطلبة ومعلمي الإلزام
٦٠ في الممالك الداخلة ضمن اتحاد البريد
٧٥ في الممالك الخارجة عن اتحاد البريد
ثمن العـــدد ١٥ مليما

نظرات فى التصوير

عند العرب

من مآثر لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع كتاب «التصوير عند العرب» للعلامة السيد أحمد باشا تيمور، مع دراسات فنية وتعاليق نافعة ألحقها به الدكتور زكى حسن. وقد قرأنا الأصل واللاحق وتبيّن لنا منهما العلم الواسع والاستقصاء الجليل، إلا أننا بعثنا عن الاستمرار فى القراءة واستدامتها أمور قليلة، رأينا فيها ما يستوجب التلبث والتمكث، ثم استمررنا أدراجنا حتى آخر الكتاب. وإننا زاهون من غيرة «لجنة التأليف» على الثقافة أن تنشر أقوالنا فى تلك الريائث، وإنها لأرحب صدراً من أن يضيق بالملحوظات بمَنّتنا على نشرها خدمة الثقافة نفسها.

فنقول أولاً لإتمام بحث كتبناه فى هذا الموضوع: إن أول كلمة «مُصوّر» رأيناها أطلقت على الصانع معالج لفن التصوير، هى التى وردت فى ترجمة ابن البواب الخطاط الكاتب المشهور؛ وكان مستعملها من مؤرخى القرن السابع للهجرة وأوائل الثامن، وهو أبو الفضل كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الشيبانى المعروف بابن الفوطى؛ فقد قال فى ترجمة ابن البواب المذكور فى كتابه الموسوم بتلخيص مجمع الآداب المرتب على معجم الأسماء فى معجم الألقاب، ما هذا بعضه: «فخر الملك أبو الحسن على بن هلال بن عبد العزيز البغدادى الواعظ المترسل الكاتب، واضع الخط. كان قبل الكتابة مصوراً للدور، ثم صوّر الكتب. وكانت وفاته فى جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة. وإلى الآن سنة ثلاث عشرة وسبعمائة لم يلحق أحد شأوه وهيهات».

هذا الاستعمال لكلمة «المصور» يدل على نوع من الحرية الدينية فى عهد المغول بالعراق، وعلى تراخى الدولة فى مراعاة «الحسبة» المبنية على الشريعة الإسلامية وآدابها. والمعنيّون بالتاريخ يذكرون خبر النزاع الذى جرى بين أمير المؤمنين القائم بأمر الله العباسى، وأبى نصر ابن أبى كاليجار آخر ملوك بنى بويه ببغداد، من جراء تلقّبه بالرحيم: اسم من الأسماء الحسنى. وذكر ابن الفوطى من المصوّرين رجلاً تركى الأصل صوفياً، قال فى باب الملقبين بعز الدين: «عز الدين أبو محمد الحسن بن عبد الله ابن إبراهيم الرومى، نزيل بغداد الفقير، كان من الفقراء المجردين والزهاد المتقطعين، وكان قليل المخالطة للناس، مُقبلاً على شأنه؛ استوطن بغداد إلى أن مات بها فى شوال سنة تسع وتسعين وستمائة، وكان أوحد عصره فى صناعة النقش، واستدعى من بغداد إلى أذربيجان لتصوير الحيطان فى عمارة السلطان». وإن الباحث ليعجب من مقدرة عز الدين الرومى فى فن النقش والتزويق والتذهيب والتلوين والتصوير والتصوير؛ بحيث استُدعى من بغداد إلى بلاد العجم، وهى منابع أهل الفنون، ومثابة البارعين فى الصناعات، لتصوير حيطان تربة غازان وما حولها من مدارس وخانقاه ومرافق! إنها البراعة لا غير.

وذكر المؤرخ نفسه نسخة من كتاب «شاهنامه» مصورة منظومة نظماً جديداً، صنعها أبو الفضل أحمد بن منجبر الكازروني الملقب بالقانع الشاعر، نزيل بلاد الروم، فقد نظمها من أولها إلى آخرها؛ وتخلص فى آخر ترجمة كل شاه بذكر السلطان هولاكو ومديحه، وعرضها بحضرته فى سنة «٦٦٠هـ = ١٢٦١م». فأمر بأن تقرر له مُشاهرة وافية وجامكيّة وافرة. قال كمال الدين بن الفوطى: «ورأيت هذه النسخة فى ثلاث مجلدات قطع النصف، وقد صورها وهى بخزانة كتب الرصد».

والآن نبدأ بذكر ملحوظاتنا التى لحظناها فى كتاب «التصوير عند العرب» واستوجبت منا التعقيب:

١ — جاء فى ص ٧ من الكتاب: «ومنها دار

رضوان ، وفيها يقول الرشيد عماد الدين عبد الرحمن بن النابلسي ... » . وفي قوله «الرشيد عماد الدين» غلط ، فإنه اشتهر بلقب « رشيد الدين » ولم يلقبه أحد « عماد الدين » ، ولا اختلف مؤرخان في لقبه . والألف واللام في « الرشيد » عوض من « الدين » كما قالوا « الفخر الرازي » و « العَلَم البِرزالي » لفخر الدين وعلم الدين . قال ابن شاكر الكتبي : « عبد الرحمن بن بدر بن الحسن ابن الفرج بن بكّار ، رشيد الدين النابلسي الشاعر المجيد ... وكانت وفاة الرشيد في شهور سنة تسع عشرة وستمائة . . » وقال الذهبي في تاريخ الإسلام : « عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن مفرّج : رشيد الدين النابلسي الملقب بعلويه ، سمع مقامات الحريري ... »

٢ — وجاء في ص ٣١ من الكتاب : « ... وجد لجعفر ابن يحيى بعد قتله ركة في داره التي في سويقة جعفر ، فيها أربعة آلاف دينار ، وزن كل دينار مائة دينار ودينار ، وعلى كل دينار من أحد جانبيه :

وأصفر من ضرب دار الملوك   يلوح على وجهه جعفر

ومن الجانب الآخر :

يزيد على مائة واحداً   إذا ناله مُعسر يُسِر

ولا ندري إن كان المراد صورته أم اسمه ؟ » اهـ

وقال مصلح الكتاب ومخرجه في ص ١٧٠ منه : «ويرجح عندنا أن المراد اسم جعفر لا صورته . انظر كتاب النقود العربية ، وعلم النُّمِّيّات للكرملي ص ١٢٣ » اهـ . وقد نظرنا في الكتاب الذي أشار إليه فلم نجد مناسبة بين ما رجح واسترجح ، والذي أحال عليه ، لأن كتاب النقود احتوى على الأسماء المكتوبة على النقود الباقية المعروفة من عهد الرشيد ووجود الاسم لا ينفي وجود الصورة ، وإن لم يعثر الباحثون على دينار مصوّر من تلك الدنانير لأسباب سنذكرها ؛ فقد حدث محمد بن عمران بن يحيى بن خالد قال : أمر جعفر بن يحيى بن خالد أن تضرب دنانير في كل دينار ثلاثمائة مثقال ويصوّر عليها صورة وجهه ، فضربت ؛ فبلغ أبا العتاهية ، فأخذ طبقاً فوضع عليه بعض الألطاف فوجّهه به إلى جعفر ، وكتب إليه رقعة في آخرها بيتان من الشعر — وذكر البيتين — وفي الشطر الأول من البيت الثاني « ثلاث مئين يكن وزنه » ، لأن اختلاف الوزن أدى إلى اختلاف الكلمات . قال : فأمر بقبض ما على الطبق ، وصيّر عليه ديناراً من تلك الدنانير ورده إليه» . فالخبر هذا مثبت لذلك الخبر ، ومؤكد أن صورة جعفر البرمكي كانت مصوّرة على تلك الدنانير العظيمة الوزن والسمة بالإضافة إلى دنانير العادة ، حتى لقد احتاج أبو العتاهية أن يهيّئ طبقاً يتخذه مهدى ويُوسل به إلى جعفر ، ليأمن على الدينار الواسع الأقطار ، من البروز والانكشاف ؛ ومثل هذا الدينار لا يؤمل أن يُعثر عليه اليوم ، لأنه سبب الحزن وقليل الأشباه في أوانه ، فهو من دنانير الأفراح والأعياد ، يُذاب ويُباع بالمثاقيل بعد ضربه .

٣ — وجاء في ص ٧٧ وصف للساعة المائية التي كانت في إيوان الساعات مقابل المدرسة المستنصرية ببغداد ، قال : « رأينا وصفها في حوادث سنة ٦٣٣ من جزء قديم في التاريخ عندنا لم نعرف اسمه ولا اسم مؤلفه . ونص عبارته .. » قلنا : هو كتاب (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة) لكمال الدين عبد الرزاق المعروف بابن الفوطي ، مؤرخ العراق في عصره على الإطلاق ؛ ونحن قمنا بإصلاحه والإشراف على طبعه بنفقة أحد المتجرين بالكتب ، واعتدته لجنة إصلاح (النجوم الزاهرة) مرجعاً للتحقيق ، وذلك لنظيم فوائده وفريد أخباره ، وهو الكتاب الذي أشار إليه مؤلف (التصوير عند العرب) قبل هذا في ص ٥٣ منه . فأما الخبر الأول فقد جاء في ص٣٠٣ من المطبوع ، وأما الخبر الثاني ففي ص٨٢—٣ منه . ومما ورد في ص ٧٧ التي علقنا هذا الكلام على ما فيها ، هذه الجملة : « ثم تطلع أقمار من ذهب

فى سماء لازوردية فى ذلك الفلك ، مع طلوع الشمس الحقيقية » والصـواب : (ثم تطلع شموس) ، لأن الشموس الصناعية تطلع مع الشمس الحقيقية . أما الأقمار فقد قال المؤرخ فيها : « فإذا جاء الليل فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها » وقد أصلحنا نحن الغلطة فى الطبوع . قال المؤرخ عبد الرحمن الإربلى فى وصف هذه الساعة : « وتطلع شموس من ذهب فى سماء زرقاء فى ذلك الفلك مع طلوع الشمس ، تدور مع دورانها وتغيب مع غيبوبتها ؛ فإذا غابت الشمس وجاء الليل ، فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها ... » . فهذا تأكيد تاريخى أوردناه بعد القول العقلى .

٤ — وجاء فى صفحة ١٣٦ وهو من التعاليق واللاحيق قول المصلح الفاضل فى الصور والتماثيل التى كان الناس يسندون إليها قدرة محدودة « كالحيات المنقوشة على قلعة حلب وفى باب الطلسم ببغداد ، وكالتمثال الذى أقاموه للتدوير على رأس القبة الخضراء . . . » ، وأحال فى الحاشية على معجم البلدان لياقوت ، وتاريخ بغداد للخطيب ، والمنتخب لابن الشحنة . وكان حرياً أن يحيل — وإذن ذى بدء — على كلام المؤلف ، فقد ذكره فى ص ٥١ — ٣ من الكتاب ، ونقل تفنيد ياقوت لمثل هذه الأباطيل . أما باب الطلسم ببغداد ، أعنى الباب المعروف قديماً بباب الحلبة ، وقد نسفه الأتراك فى شهر آذار من سنة ١٩١٧ فلم يعرف عن الخليفة الذى أمر ببنائه أدق وكون إلى السحر وأقل تصديق به .

٥ — وجاء فى ص ١٦٣ من اللاحيق أيضاً : « انظر إلى مقالنا عن المشكاوات الزجاجية فى عصر المماليك » وفى هذه الجملة ثلاث غلطات ، نذكرها على سبيل التمثيل بأن نقول : الصواب « فى المشكيات الزجاج » ، وفى ص ٥٤ : « الصور الخشب »[١] وهو الصواب .

(١) لم يقل « الخشبية » لأنه لذلك معنى آخر هو كون بعضها من الخشب .

٦ — وورد فى ص ٢٠٢ : « السلطان السلجوقى محمود بن ملكشاه » ، والصواب : « محمود بن محمد بن ملكشاه » . وسبب ذلك أنه ذكر مع اسم هذا السلطان سنة « ٥٢١ » ه ، وهى من عهده ، وقد توفى سنة ٥٢٥ ه ؛ أما محمود بن ملكشاه فلا صلة له بهذا العصر ، لأنه سُلطنَ وعمره أربع سنوات وأشهر سنة ٤٨٥ ، وتوفى بعد أن بقى فى عهد اضطراب سنتين وأشهراً .

٧ — وورد فى ص ٢٣٢ : « فإن أقدم مثال مؤرخ من هذا الرنك موجود على باب حران فى مدينة الرُّها ، ويرجع إلى الملك المظفر شهاب الدين غازى ، الذى حكم الرُّها من سنة ٦٠٨ إلى سنة ٦١٧ ه » . قلتُ : وقد أحال فى الحاشية على كتاب ، ولكننا شككنا فى التاريخ حينما قرأناه ، والصواب إلى سنة « ٦٤٦ » ه مكان سنة « ٦١٧ » . قال المقريزى فى وفيات سنة ٦٤٦ ه ما هذا نصُّه : « وفيها مات الملك المظفر شهاب الدين غازى بن العادل أبى بكر بن أيوب صاحب الرها ، وقام من بعده ابنه الكامل محمد فى سلطنة الرها وميافارقين » .

ومن الثابت هو أن الملك المظفر حكم فى تلك النواحى إلى أن مات وهو على الحكم ، فما الذى دعا إلى اختيار سنة « ٦١٧ » غاية لحكمه ؟

٨ — وورد فى ص ٢٣٤ شرح لصورة أبى زيد السروجى وجماعة التى وُجدت فى مخطوط باريس ، قول الشارح : « وهذا المخطوط أبدع المخطوطات المصورة التى نعرفها من مدرسة التصوير السلجوقية فى العراق ... » . وأحال على كتاب نشرته دار الكتب الوطنية بباريس ، وكتاب ليجون ، وثالث لبلوشه ، ورابع لمارتن ؛ فإن كان الشارح الفاضل تابع هؤلاء ، فإن ذلك لا ينقص عجبنا بل يزيده ، لأن الصورة مؤرخة بسنة « ٦٣٤ » ه . أى « ١٢٣٧ » م ؛ فأى سلجقة بقيت فى تلك الأزمان ؟

مجالات فى النقد:

الدكتور محمد مندور

فى الميزان الجديد

... وأخيراً بعد ترقب طويل ، وتنظر الناقد جرىء ، وكاتب حر يحمل المعول فى طريق الهدم والبناء ، طلع علينا الدكتور مندور يبوأ كبر نظرائه فى الأدب ، فكان لصنيعه صدى أراح الحريصين على حياة النقد والنقاد فى مصر ، وذلك لأن الأقلام التى كنا نأمل من ورائها بعث حركة الصيرفة وتوجيه الأدب والأدباء انصرفت إلى المجاملة الخالصة ، أو إلى التشق إذا وقفت على نتاج فنى أو أثر أدبى

ولعل صديقنا الدكتور مندور قد هاله مصير النقد فى مصر بعد عودته من أوروبا ، وشق على نفسه الآلة وأمانيه العريضة ، فأقبل على استيفاء ... والشعراء ، وساعده ما طبع عليه من جلد وما عنده من حسن استعداد ورحابة صدر وقوة إيمان ، مما باعد بينه وبين الهوى الذى ما لعب بقلم إلا مال به عن جادة الرأى الصريح .

ولدى الآن كتاب الدكتور الذى نشره فصولا متعاقبة فى المجلات ، أجد فيه صدق النظرة للمجتمع : « نحن قوم متزمتون يظنون النفاق الاجتماعى فضيلة ؛ قوم حسيون ، إذا تعزلنا جاء غزلنا إما إسفافا فى الخضوع وإما (طرطشة) فى العاطفة ؛ قوم تعوزهم القوة المتماسكة ... » ص ٦٩ .

وهو بعد يسير فى تواضع العالم واطمئنان القوى الواثق الذى يستقر ... يحير لا يأبى للتحكم بالآ : « أنا لا أريد أن أملى ذوق على أحد ، ولكنى أبصّر بالقيم الإنسانية التى يجب أن يتجه إليها أدبنا إذا أردنا أن نلحق بغيرنا ... الباطل الذى نحن فيه » .

أجل انقرضت الدولة السلجوقية من العراق سنة ٥٩٠ هـ انقراضاً كاملا ، وبقيت آثار لها ودماء فى بلاد العجم حتى سنة « ٥٩٠ » هـ فاستؤصلت ، فكيف كانت المدرسة سلجوقية ؟ والصحيح أن هذا من طبقة الصور العباسية ، أى المدرسة العباسية — إن جاز لنا التعبير بالمدرسة ، وليس هنالك — وهى الطبقة التى ابتدأت من خلافة أمير المؤمنين أبى العباس الناصر لدين الله الشافعى . والمختصون بهذا الفن يعلمون أمر صورة الرجل التى كانت فوق باب الطلسم ، بين ثعبانين ، وأن الشكل بنى سنة ٦١٨ هـ بأمر هذا الخليفة الهمام ، فهى إذن طبقة الرسوم العباسية الناصرية ، ولا وجه لتسميتها باسم خيالى مخالف للتاريخ .

٩ — ونختم كلمتنا بالإشارة إلى تساهل الشارح الفاضل فى ترجمة « السكلمات الفنية » . فقد ورد فى الشكل ذى الرقم (١٣٢) مقابل الصفحة (٢٥٨) ما هذا بعضه : « تمثال خنزير من الخزف ذى الدهان الأزرق » ، والعرب سمّت هذا الخزف « الحنتم » ، قال المبرّد : « وكذلك قال أهل اللغة : الحَنْتَم : الخزف الأخضر ؛ وقال الأصمعى : كل خزف حنتم » . وهذا يفيد أن الحنتم يشمل ذا اللونين لتقاربهما . وفى ص ٢٥٦ : « وبينهما حاجز شرفة بارزة (بلكون) » والعرب سمّت مثل ذلك بالجناح والروشن . وللأجنحة أى البلكونات أحكام فى الحسبة ؛ قال الماوردى فى الأحكام السلطانية : « وهكذا القول فى إخراج الأجنحة والأسبطة و ... يُقرّ ما لا يضر ويمنع ما ضرّ » . أما الشرف والشرفات فتكون كالأسنان على السطوح .

(بغداد) مصطفى جواد

وهو فيما حاول يقدم لك الدليل على سمو ذوقه ، وطرافة متجهه ، واستيعاب منحاه ، يستشير ويتحسس حتى بدائع الأذواق (البلدية) .

يجادل حول نظرية عبد القاهر الجرجاني في نقاش بينه وبين بعض الكتاب فيجنح بهم إلى طريق القلب ، « إلى الإحساسات المختلفة التي يثيرها في أنفسنا تصغيرنا الدامي في قولنا مثلا (حتة ولد) ، و (حتة نتفة ولد) » بفضل روحه الخفيف وسماحته الخلابة ، وبعده عن عنجهية تفسد على المثقف حياته الأدبية .

وهو الداعي إلى التجديد والكافح في طريقه ، « ولكن على شرط أن يكون التجديد إنسانيا عميقا جميلا ، وأما إذا أخذنا بالقشور والحيا كل تاركين اللباب والمعاني الدقيقة ، فسنفقد عندئذ أصالتنا دون أن نستعيض عنها بأصالة أخرى . . . » ص ٧ .

فهو مؤمن بالتجديد وحريص على التوجيه ، ولكن في تعقل الآمل وتحمل الحريص على الأدب ، المسرف في الغيرة والإنصاف لتراث آبائنا . هو لا يجحف ، ولا يتخذ من اطلاعه على أدب اليونان وغير اليونان ذريعة لطعن الأدب العربي في أعز ما لديه .

واسمع للدكتور مندور في (أبي العلاء ورسالة الغفران) ص ١٠٦ يقول : « الناقد ذو الخيال ، القادر على تصور حياة العرب والإحساس بها قدرة الممثل الجيد على أن يحيا الدور الذي يلعب ، يستطيع أن يدرك ما في بكاء الديار عند هؤلاء القوم الرحل من جمال وصدق لا أعرف لهما مثيلا في أدبنا ؛ ومع ذلك كم نرى من أحمق يسخر من هذا البكاء ، بل كم من ناقد لا يرى فيه إلا مجرد تمهيد لأغراض الشعر عند العرب » !! وكثيراً ما يقيم الدكتور من نفسه محامياً يدافع عن قضية الحق في الأدب ، ويرد غوائل مبطلي الرأي ومن يشط به قلمه . وعلى القارئ أن يشهد روعة المحامي الدره في فصل عقده تحت عنوان « النقد والمعرفة » ، وفيه يتجلى حماس المؤمن ، ودفاع المستميت ، وحرص المخلص على الفوز البالغ . وعندي أن الدكتور نجح كناقد لأنه مستكمل لخصائص النجاح ، رائده الصراحة والصدق والإخلاص ، وهو بعيد عن المجاملة حتى لنفسه ، وفوق هذا فهو مؤمل غير متشائم ، وهو واسع الرجاء ، يعيش بمنجاة عن النفاق لا يخدع بالزخرف . انظر إليه واقرأ رأيه في علي طه المهندس : « وها أنا اليوم أنظر في « أشباح وأرواح » للشاعر علي طه فأرى صوراً مغرية وحيلا في الطباعة تهش لها العيون ، ثم أفتح الكتاب وآخذ في القراءة فتنطوي النفس وينفر الإحساس » ص ١٩

ذلك موقفه من علي طه الذي خدع الناس جميعاً وصرفهم إلى مدح شعره بالحق وبالباطل .

لكن مندوراً كان صريحاً معه ومع الدكتور طه في دعاء الكروان ، مع اعترافه بفضل الدكتور وإسرافه في الإخلاص له والاعتراف بيده عليه ، حتى ظننت به ظن السوء أول الكتاب ، ثم أرضاني أخيراً إذ صارح ووفى النقد حقه .

والدكتور مندور قوي الصبر في المرض ، مطيل في مواقف التحليل ، عالج نتاج أقلام هي قيثارات هذا العصر ، منها : طه ، الحكيم ، المازني ، العقاد ، وتيمور ؛ وأثار الرأي والأقلام حول الشعر المهموس ، وأظهر حبه وإخلاصه في تطرقه لشعر المهجر ؛ وتحدث ممتعاً عن الشعر الخطابي وتحمس فوق ما كنا نبغي له وهو المجانب للهوى ! ونسي أو أنسي أن يعرض لألوان الشعر ومدارس الشعراء « المعاصرين » ، ولو في إيجاز ، وذلك أول شيء يجب أن ينظر فيه الناقد ، لأننا في طور إفلاس الشعراء ، أو على الأقل في مرحلة أحب أن أسميها « بلبلة الشعراء » !! وكنت

حنين ونجوى

طالَ مكثى ، فامشى معى – نصحبُ الليـ
ـلَ – إلى شاطىء ، من الناس قَـفْـرِ
وانظرينى ، هناكَ ، أشدو فيصغى الْـ
ـمــاء ، والرّملُ ، والنسيمُ لشعرى
واسمعينى أبثك وَجدى نشــيداً
يتلظّى شــواظَ نارٍ بثغرى
وأحـدّثكِ عن جريحٍ سجينٍ
يتنزّى صَبابةً ملْءَ صــدرى
رامَ نورَ الحيـاة ، فاعتسـفَ الدَّهـ
ـرُ ، وما نالَ غيرَ ظلمةِ قبرِ
طارَدَتْهُ الهمومُ وهو أســيرٌ
ماله فى إسارِه [illegible]

هل رأيتِ الهزارَ يهيضَ جناحا
ه ، فأمسى ما بين نابٍ وظفرٍ ؟
ذاك قلبى ، هلاَّ عطفتِ عليـه
بحنانٍ على المدى مُســتمِرٍّ ؟
نظراتُ الحنانِ من عينيكِ السّـكـ
ـرى ضِمادٌ لجرحهِ المستَقِرِّ
فاضمِـديه ، وناوليني عُـودى
واصحَبينى إلى مَواطنِ بِشرى
نتمشى فى خاطرِ الليــل حُلماً
سابحَ الظلِّ فى أشعّةِ بدرِ
نتمشَّى على الرّمالِ وللّـ
ـهِ رمالٌ ما بين نهرٍ وزهرٍ !
عطفتْ « دِجلةٌ » عليهـا حَناناً
فحَبتها بكلّ رَوعةِ سـحرِ

* * *

آهِ يا موطنَ الصِّبا ، والصَّبابا
تِ ، ومَلْهى قلبى ، ومسرحَ فكرى
كمْ توضّأتُ بالدموعِ ، وأدّيـ
ـتُ صلاتى هنا ، وأدّيتُ « ذكرى » !
وتضرّعتُ بالدُّعاءِ ، فأمَّنـ
ـتَ على ما دعوتُ تأمينَ بَرٍّ !
ثمَّ أوقفتُ فيكَ نعمىَ الأو
لى ، على مَسمعِ الحبيبِ الأغرِّ
آه ! يا موطنَ الصِّبا ، كم تمنيـ
ـتُ لو أنى أقضى بواديكَ عمرى
حيث لا حاسِـدٌ حقودٌ ، ولا عا
ذلٌ ثقيـلٌ ، ولا مجاراةُ غِرٍّ
وإلى جنبىَ الحبيبُ ، يُنـاجيـ
ـهِ ضميرى هوًى بسرٍّ وجهرِ

أريد للدكتور أن يقف قليلا عند شعر الشاعر الكبير « محمد الأسمر » ومن على غراره مثل الأستاذ « محمود غنيم » ؟ فعند الأول رنة عنترية ، وفى الثانى عزاء عن شاعر النيل حافظ . ولعل للدكتور عذره ، لأن غبار الجدل وما منى به من مهاترات ألهى الدكتور عن دراسة أمثال « الزين » والشاب الشاعر « مختار الوكيل » ... وأنا بعد أخالف الدكتور فيما يريده للشعراء ، « نريد أدبا مهموسا أليفا إنسانيا » . نعم ! نريد أدبا « أليفا إنسانيا » ، ولكن ليس من الضرورى أن يكون الهمس أظهر خصائصه ، نريده مهموسا مرة وعاصفا مرة أخرى ، نريده غديراً هادئاً ثم تياراً جارفاً ، نريده موسيقى ثم رعداً يروع الخامد ويوقظ الغافى ؛ نريد أدبا ملونا لأن القرائح لا تخضع للتقنين ، وإنما هى رهينة التقنين والتلوين

كامل محمد عجمويه

لا إصـــــلاح لأمة

أرزاقها بيد الغرباء

حياة الفراديس لا يلقاها إلا الذين صبروا ، وأولئك قلة ؛ أما الكثرة الغالبة من الشعوب ، فتحل مشاكل عيشها عن طريق اقتسام الأرزاق . وليس من المستطاع تقسيم الأرزاق إلا إذا امتلكت الأمة أرزاقها ، فإذا ما تسربت أرزاق الأمة إلى أيد طارئة ، تسربت أخلاق الأمة المستضعفة إلى مناطق الذل والخنوع والجوع .

فمَن مَلَكَ رزق ملكني ، ومن ملكتُ رزقه امتلكته ، إلا العظماء ؛ بل قل وكذلك العظماء . فالذي يمسك الإنسان بالأرض القوت ، والذي يمنع الإنسان من التحليق فى أجواء العقل القوت ، والقوت طواغيت كبرى ، اسمها البروج المشيدة فوق أكتاف الاستعلاء وشهوات الاستحواذ .

فالقوت أكبر من مشكلة ، وأبعد من مسألة ، وفوق كل ذى فكر ورأى سليمين . فالحياة مهددة بالفناء إن أنت هددتها بمنع الأقوات ؛ والحياة تصير إلى زوال إن أنت باعدت بينها وبين ملء الأمعاء . لأن خالق المخلوقات قدر لها أن تغتذى ، والغذاء عملية قضم وهضم ، فتوزيع بقسطاس مستقيم ، فدبيب حياة إلى خلايا الأجسام ، فحركة ، فهذا الكون ، أو هذا المدد الهائل من الأحياء الذين ينتشرون فى الأرض ليعمروها ويثيروها ، ويزينوها .

ففوق العقل كابوس ، اسمه أين القوت ! وفوق البصائر كابوس ، اسمه هل يمكن التغلب على القوت ! ومن هنا تستذل أمم وتستعلى أمم ، وتوجد الفوارق بين الأفراد والجماعات وبين الشعوب .

فقضية الشرق تحل عن طريق حل قضية القوت . وليس من الحقيقة فى شىء أن يتعالى بعض الناس ويزعمون أن القوت من المحقرات ، وأن الفقراء وحدهم هم الذين يسعون له ويقصدون . فأمعاء هؤلاء ، ذات اكتظاظ ،

لا رقيبٌ ، سوى رقيبِ عفافى
لا قيودٌ ، سوى نقاءٍ وطهرِ

* * *

ههنا ، يا مناى ، قد بث الحبُّ (؟)
بطرفٍ ، ومُهجـــةٍ ، وثغرِ
ههنا اشتفّت الجوارحُ نورًا
حبٍّ ، كأسًا ممزوجةً أىَّ عطرِ
ههنا مَرْحة الهوى ، فاسألى السَّرْ
حةَ عن زاهرٍ من العمر نضرِ
كم نقشنا على لحاها عهودًا
لم تزلْ من محلّها قيدَ شبرِ !
أيكون الشبابُ أولى بعهدى
منك ، يا منيتى ، وأرعى لذكرى ؟
فتعالى ، نستدرك الحلمَ البا
رِ نبيلاً ، على أشعة فجرِ

* * *

ما الذى كانَ فاعتسفت وخلو
تِ فؤادى رهينَ يأسٍ وأسرِ ؟
ألأنى أمسيتُ رجلٌ ، تمشينا
فى رضيك ، بين شوك وصخرِ ؟
أمْ لأنى ألبستُك الشعرَ ثوبًا
رائعَ الوشى من بيانٍ وسحرِ ؟
أمْ لأنى توجتُ مفرقك الفا
حمَ ، تاجَ الجمالِ من كل شعرِ ؟
. . . فتعالى من قبل أن ينضبَ المأ
، ، فيذوى فى روضة الحب زهرى

علي جليل الوردي

ولولا اكتظاظها لما قالوا قولهم هذه . ومنهم جياع ، ولكنهم يتعالون . تعالى العبد وُجد في مكان به أثرياء أقوياء ، فشمخ بأنفه ، ليوهمهم أنه لا يقصر عن ملاحقتهم في بحبوحة عيشهم . هي كبرياء كاذبة مضللة ، أضرت بالأذهان ، وابتلى قول المضللين .

وحل قضيـة القوت في مصر يأتي عن طريق رد الحقوق إلى أهلها ، إذ أكثر من نصف ثروة مصر يملكها الأجانب ، ونصف النصف بيد الشعب ، والباقي بيد فئة قليلة العدد كبيرة الأملاك .

فالحق أن الاستقلال استقلال الاقتصاد ، والباطل أن يكون الاستقلال عن طريق إصلاح النفوس . لأن النفس لا تصلح ولا تفضل إلا إذا وفرت لها الغذاء . نجد من الناس أرزاقهم تدفعهم لبأس الجوع ، وإنه لأقسى صنوف الآلام ، وإنه للمهد الأعظم لاستعباد شعب من الشعوب .

فإذا نظرت إلى التاريخ أمكنك أن تتبع [illegible] يعتدل ويتحرف ، تبعاً لميل القوت وانحرافه [illegible] للسادة المجاهدين حتى يمكن المسلمين حكم الشعوب المفتوحة . ولقد حكمت بريطانيا نصف المعمورة عن طريق التصرف في أقواتها . وحُكمت أوروبا منبع الثورات والحريات عن طريق التصرف في أقواتها . وها هي الولايات المتحدة تزحف إلى الميادين بقوة الأرزاق لا بقوة العقائد فقط . ولقد أقفرت الصحارى من السكان لانعدام الأرزاق ، واحتشدت الأنفس في مجارى الأنهار لأن الأقوات ميسورة ومبذولة .

ومن أدلة قوة القوت ، أن ألمانيا ضاعت في الحرب العظمى الأولى ، بضياع القوت ؛ والأمم الإسلامية استعبدت من طريق امتلاك الأقوات .

فالقوت القوت القوت ! وليحذر الناس أن يهوّنوا من أثره ، تحت تأثير الأقلام المريضة التي تحقر من أثر الأقوات في النفوس ، وهي نفسها ما احترفت الكتابة إلا للرزق . وليثق الناس أن الحياة أعقل من الأفراد ، وأن للطبيعة نواميسها المحكمة التي لا تحوي خللا أو تبلبلا . والطبيعة تقول من الحتم أن يأكل الإنسان ليعيش ، ولا تقول من الحتم أن يعيش الإنسان ليأكل . فأنا مع سقراط في حكمته هذه ، إن كان هو الذي قالها ، وأنا أدعو الناس ليتأملوا معي حكمة هذا الفيلسوف ، وسوف يجدونها أعمق من المحيط الأطلانطي .

أنا آكل لأعيش ، ولا آكل لآكل ، لأن من مسببات الحياة أن يدخل الطعام الأمعاء . فإذا ما فرغت من حشو الأمعاء وجب فوراً أن أنطلق إلى غاية الحياة العظمى ، وما غاية الحياة الدنيا إلا الإدراك ، وما الإدراك إلا عبادة رب العالمين . مثل هذه الحياة الدنيا كمثل شجرة جذورها الدين ، وجذعها الفلسفة ، وأغصانها العلوم ، وأزهارها الفنون . وهذه المناطق جميعا تنعدم بانعدام الغذاء الذي يغذي خلايا الشجرة ، وغاية الشجرة أن تعطي رائحة أو ثمراً أو غير ذلك كثير . وغاية الإنسان إذا ما ألمّ بهذه المناطق ، وسار على نسق منها وهدى من ربه متين ، أن يعطي عبادة . وأرفع أنواع العبادات ، الجهاد في سبيل الله ، والله هو الحق الأعلى والمثل الأعلى .

فإذا أمكنك أن تجد الرائحة تفوح من الأشجار من غير تغذية هذه الأشجار ، أمكنك أن تجد الإنسان الأعلى في الإنسان من غير أن تغذي الإنسان . فالقوت أس الضروريات لحفظ الحياة ، وما أوجد الله هذا المعمل العظيم الذي نحويه في باطننا عبثا . إن لكل شيء غاية ، وغاية الأجسام أن تتغذى ؛ وإن لكل غاية غاية أعظم منها ، وأعظم من الأجسام العلو بالأجسام نحو المناطق العقلية .

ذلك من أسرار الحياة ، نكشف عنه ، ولقد كان معلوما ، وفي النفوس مفطورا ، ولكنه ظل مطمورا . فعلى الذين بيدهم توجيه هذا البلد ، أن يحسنوا سياسة البلد ، ويحفظوا أرزاق البلد بيد أبناء البلد !!

محمود شفي

بين المسموع والمقروء

أمة تبتلع وهضم يسوء

جان جاك روسو كاتب من كتاب فرنسا الكبار ، في القرن الثامن عشر . كتب لصديق بولندي يقول : « إنهم سيبلعونكم . ولكن احذروا ثم احذروا أن يهضموكم » .

وصدقت نبوءة روسو . فبين عام ١٧٧٢ وعام ١٧٩٥ ، اختفت دولة بحالها من خريطة أوروبا ، هي الدولة البولندية ، بعد أن ظلت تعيش وتحيا قرابة ثمانية من القرون ، في ظل ملوك ذوي عرش وأبهة وسلطان . وكان اختفاؤها ابتلاعا . واشترك في ابتلاعها ثلاث دول . وابتلعوها ، لا كما يبتلع الثعبان الطير بعظمه ولحمه وريشه دفعة واحدة ، ولكن على دفعات ، وبعضها وراء بعضها أيضا كما تبلع التماسيح . حدثت البلعة الأولى عام ١٧٧٢ ، وكان على المائدة ثلاثة قياصرة عظام : القيصر الروسي والقيصر الألماني ، والقيصر النمساوي . وكانت البلعة الثانية عام ١٧٩٣ ، وكان على المائدة قيصران : قيصر الروس وقيصر الألمان ، ولأمر ما تغيب الضيف الثالث . وكانت البلعة الثالثة عام ١٧٩٥ ، واجتمع عليها ثلاثتهم فلم يتغيب منهم غائب .

وخشية أن يطفح الطافح بما ازدرد ، تعاهد القياصرة الثلاثة على استبقاء ما في بطونهم حتى يكون هضم ، وأسموا هذا التحالف بالتحالف الثلاثي القيصري ، Dreikaiserbund . ولكن الزدرد لم ينهضم أبداً ، وظلت الأمعدة الثلاث تنوء بسوء هضمها . فالدولة البولندية كانت قد ماتت ، ولكن الأمة البولندية لم تمت حتى في ظلام هذه البطون . وكما ثارت ، فاثبوت هذه البطون من ألم ما احتوت ، ثار أحرار أوروبا يرفعون الأصابع في وجوه أصحابها مهددين منذرين ، حتى صارت بولندا مثلا للظلم والإجحاف يتمثل به المتمثلون ، وبؤرة يجتمع عندها عطف العاطفين . فهذا العطف الحالي الذي تراه اليوم في أمريكا وفي أمم أوروبا الغربية ، على الأمة البولندية ، عطف لا يمكن استئصاله لأنه عطف إجماعي قديم .

وجاءت الحرب العالمية الأولى ، حرب عام ١٩١٤ ، فسنحت فرصة تكوين الأمة البولندية من جديد ، فكانت ، وسلخوا لها من ألمانيا وروسيا والنمسا ما كان لها قديما . وكان رئيس دولتها من بعد السلم المرشال بلسودسكي Pilsudiski .

أمة ترفع ثم يعود

لقد نشأ العنصر البولندي أول ما نشأ بين النهرين الشهيرين : نهر الفستولا ونهر الأودر ، ثم أخذ يتمدد هذا العنصر إلى الجهات الأربع . وبولنده أرض منبسطة ، تتصل في أوروبا بين سهلين عظيمين ، سهل روسيا ، وسهل ألمانيا . ويحدها في الشمال بحر البلطيق ، أو كان قديما يحدها ؛ وفي الجنوب حاجزها الطبيعي الوحيد المنيع ، جبال الكربات . وأمة في هذه السهولة من الأرض ، وبين هذه السهولة من أرض الجيران ، لا يمكن أن تحتفظ باستقلالها ، ولا أن تذود عن كيانها ، في عالم التناجز والتناحر هذا ، إلا بالسواعد والسيوف . وهي إما أن تأكل أو تؤكل . وقد كانت بولنده قوية فيما مضى فأكلت . ثم واتاها الضعف في القرن الثامن عشر فأكلت . وهي من قبل أن تؤكل ، في قوتها ، كانت فاصلا جيلا ، يحمده السياسيون ، يفصل ما بين عنصرين لم ينشأ التاريخ ولا التقليد إلا أن يكون بعضهما لبعض عدوا ، العنصر السلافي والعنصر الجرماني ، أي روسيا وألمانيا . ولكن الحاجز لا يرضاه المتحاجزون إلا أن يكون قويا .

فلما ضعف ، وسهل انحرافه ، تراضى المنتصران على رفعه مما بينهما فرفعاه ، وظل مرفوعاً نحوا من مائة وعشرين عاماً . وفى قاعة فى فرساى ، فى عام ١٩١٩ ، أنشأ الساسة الدولة البولندية بصورتها القديمة لتقوم بواجبها القديم ، فتفصل من جديد بين سلاف الروس وتيتون الألمان .

ولقد أراد الساسة الغربيون عام ١٩١٩ أن تقوم بولنده ، لا يفصل روسيا عن الألمان فحسب ، بل بفصلها وفصل بلاشفتها عن سائر أوروبا ، فلا تنتقل إليها مبادئ الشيوعية كما تنتقل جراثيم الأدواء . فكان أول عمل الزعيم البولندى الجديد للدولة البولندية الجديدة مناهضة الروس وانتقاص دولتهم من أطرافها .

بلسودسكى يحارب الشيوعية

إن تاريخ بولنده الحديثة ، ماقبل الحرب الماضية وفيما بعدها ، مرتبط أشد ارتباط بتاريخ زعيمها بلسودسكى .

نشأ هذا الزعيم فى بولنده الروسية ، ونشأ على كراهة الحكم القيصرى ، ونفى فى محاولة فاشلة لاغتيال القيصر إلى سيبريا . وقبضوا معه على أخ للينين ، ولكنهم لم ينفوه بل قتلوه . فلم ينس لينين . ولم ينس بلسودسكى .

وفى سبيل كراهة القياصرة جنح بلسودسكى إلى العمال ، حتى الروس منهم ، يؤلبهم على حكم ظالم فيهم ، وأخوه رفيقا . واعتنق الاشتراكية مذهبا . ولكن يظهر أنه لم يعتنق الاشتراكية إلا كراهة للقيصرية ، فكل عدو للعدو حبيب .

ولكنه ما لبث أن أنال بولنده استقلالها حتى ظهرت كراهة خفية فيه للروس ، قياصرتها وعمالها . ففى نوفمبر عام ١٩١٨ دعاه بعض الشيوعيين بالرفيق بلسودسكى . فقال لهم مؤنبا ، « أيها السادة ، لست رفيقاً بعد الآن . إننا اتجهنا أول الأمر وجهة واحدة ، وركبنا قطاراً واحداً دهنتموه باللون الأحمر ، ولكني نزلت من القطار لما بلغ بى محطتى ، « استقلال بولنده » ، أما أنتم فسائرون به إلى أن يبلغ بكم محطتكم ، « الاشتراكية » . فلكم منى حسن التمنى والدعوة الصالحة . ولكن من الآن فصاعدا أرجو أن تدعونى بالسيد إذا ما دعوتم » .

يحب ويبغض من أجل بلاده وحدها

كانت غاية بلسودسكى بولنده ، لا غيرها . وفى سبيلها صادق الروس وعاداهم . وفى سبيلها عادى الألمان والنمساويين وصادقهم . وهو قد عادى وصادق كلما دعت دواعى بولنده إلى صداقة أو معاداة .

نشبت الحرب الماضية ، فما لبث أن هاجم روسيا ، روسيا القيصرية ، بجيش بولندى ألفه . فنال بذلك الحظوة عند الألمان حتى أعلنوا استقلال بولنده . وما كادت تستقل بولنده ، والحرب قائمة ، حتى كوّن جيشا يستطيع مقابلة الألمان إذا ما أضعفهم القتال . وصدق حدسه ، فما تورط الألمان وحلفاؤهم فى الحرب فنالهم الضعف حتى مال عليهم يطرد البقية الباقية منهم من بلاده . وجاء عام ١٩٢٠ ، فوجد حدوده الغربية آمنة ، أمنها انخذال أعدائه فى الغرب . ونظر إلى الشرق فوجد الروس دولة محطمة ، قد ناوشها الرأسماليون يخذلهم من كل جانب . إذن هذه فرصة قل أن يسمح بها الزمان .

مغامرته الروسية

نظر إلى أكرانيا وإلى ما تفيض من أرزاق ، فشاقته أكرانيا فأخذت تتراءى له فى الأحلام . وإنها لعلى قيد خطوات من مواطئ نعال جيشه . ودول الغرب لا يمكن أن تتدخل أبداً ، وإن هى تدخلت فلا شك إلى جانبه ، فمن منهم لا يخشى البلاشفة ، ومن منهم لا يكون عونا على إضعافهم وإفنائهم .

وبدأ مغامرته فهاجم الروس ، ودخل كييف ، عاصمة أكرانيا ، فى الخامس من مايو عام ١٩٢٠ . وكان من وراء بولنده دولة المرسيّيز ، دولة الحرية والمؤاخاة والمساواة ،

لا في جند أو عتاد، ولكن في شخص القائد الفرنسي، هنريس Henreys. وصبر الروس حتى فرغوا من جيوش الرأسمالية الثلاثة، ثم انصرفوا يعيثون بالبولنديين، ولم يلبثوا طويلا حتى انكفأ ميزان الحرب، فصار الغالب مغلوبا، والمعتدى عاديا. وقارب الروس وارصوفيا عاصمة بولنده، ووقفوا عند أبوابها شل وقفتهم اليوم، ولم يبق على دخولها غير يوم أو يومين.

ولم تستطع الحكومات الغربية لبولنده إمدادا، وودّت لو فعلت. ولكن من محارب الروس منهم، وجنودهم قد جنحوا للسلم من بعد حرب مُرّة. ومن يحمل الذخيرة إلى بولنده، والعمال يأبون أن يحملوها فيطفئوا بذلك تلك الشمعة الضئيلة التي تراءت لهم في الأفق الشرقي تشع عليهم بمعنى للعيش جديد، وتحيي فيهم أملا كاد يذهب في الحياة.

عزّ الجند، وعزّت الذخيرة. إذن فوق الشورة الكفاية. ويبعث الحلفاء إلى البولنديين بعثة عسكرية على رأسها الجنرال الشهير، الجنرال ويجان، وهو ذلك الجنرال الذي لجأت إليه فرنسا في هذه الحرب عند الهزيمة ليدفع عنها آخر مرّة ففشل. وهو هو نفس الجنرال الذي اختلف في موته الرواة اليوم.

وبلغ الروس أطراف وارصوفيا كابلغوها اليوم. وصارت الحرب سجالا. ثم كان النصر للبولنديين. أتاهم إياه خطأ في خطة القائد الروسي. فقد استهان بقوة خصومه، وأراد أن يأخذ عاصمتهم لقفا لا مواجهة، فوزع قواه فخفّت، فحاقت به الهزيمة.

وانعقدت المعاهدة بين روسيا وبولنده في أكتوبر من نفس العام. وعادت بكلتيهما من الحدود إلى حيث كانا قبل الحرب. فكانت حربا غير كاسبة، إلا الضغائن والأحقاد.

لم تكسب بولنده من حربها روسيا غير الحقد والضغينة، ولكن أوروبا الغربية كسبت من نتيجة هذه الحرب هدوء البال واستقراره اليوم. إن البلاشفة قد خُذلوا، وشرّهم قد تقاصر ولو إلى حين.

ما أشبه الليلة بالبارحة!

إن ظروف هذه الحرب العالمية الحاضرة قد اختلفت عن ظروف أختها الماضية. فروسيا اليوم دولة في أول الحرب وآخرها صديقة. ولكن رجالها اليوم هم رجال الأمس. والمبادئ التي يعتنقونها اليوم هي نفسها التي اعتنقوها بالأمس، إلا قليلا. وكذلك رجال الديمقراطيات الغربية اليوم هم رجالها بالأمس، وإنما أكبر سنا؛ وهم أهل الحين، ولعلهم قد يكونون أكثر شمالة مما كانوا. ومن الطبائع الإنسانية الرذيلة أن الإنسان لا يستطيع أن ينسلخ عن جلده، ولو مرة واحدة في العمر، كما تنسلخ الثعابين؛ وأن الخلايا الخبة العجيبة في رأس هذا الإنسان لها صفة صحة: أن تحتفظ بذكر الماضي حفظا وثيقا، وتحتفظ للفكر دهراً مديدا. وهوى الأنفس ليس كهواء الريح قلبا.

ومن أهم مقالات المستشرق "مقاصف الحاضر وأسبابها أن يستقر في غضون الماضي القريب. فعناصر الخلاف اليوم هي عناصر الخلاف بالأمس مهما اختلفت أسماء الزعماء، واختلفت تواريخ السنين!!

إن روسيا أقدمت في بولنده، ثم أحجمت، وكان لبولنده من هذا الإحجام من بعد إقدام بؤس وشقاء.

والبلقان، كان في مؤخرة رءوس الناس حتى بلغ القفا، فإذا به قد دبّ إلى الأمام حتى يكاد يخرق الجباه! والذي أوتيه إنما هم الروس.

وديجول، في فرنسا، ينصره قوم ويخذله أقوام. وهو ينظر إلى الشرق تارة وإلى الغرب أخرى. وله عينان تحاول الجمع بين مشرق ومغرب في آن. وله قلب إمبراطوري يحاول أن يجمع الدنيا كلها في مهجة واحدة. وهي مهجة صغيرة لا تتسع لهذا.

ونحن ننتظر، والأمم تنتظر؛ وسيقول الناس من بعد كل هذا: ما أشبه الليلة بالبارحة!!

أحمد زكي

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ٩ شارع الكرداسي — عابدين — القاهرة